1- عندما بلغتُ السّادِسَةَ عشرةَ منْ عُمري، كنتُ في ضيقٍ منْ أمري؛ فَقدْ تركت المدرسة الثانويّة في يونيو 1947 بعد شهر من ميلادي السّادس عَشَرَ، إذ أرادَ والدي أنْ أَنْخَرِطَ في العَمَلِ؛ لأساهِمَ في مصاريفِ البيْتِ. كان والدي يَعْملُ في صناعة الأحذية، لقاءَ ثلاثةِ جُنيهاتٍ في الأُسبوع. وكانَ عليْهِ - إضافةً لعَمَلِهِ الشّاقِّ في صناعَةِ الأحْذيةِ - أنْ يعمَلَ نادلًا في أحدِ المطاعم؛ ليجعَلَ أوْضاعَنا الماليّةَ تسيرُ بلا عَقَباتٍ خَطيرة، لكنّه نادرًا ما أفلحَ في مَسْعاهُ هذا. وكانَ أَخي الأصغرُ"باري" قدْ تركَ المدْرَسَةَ في سِنّ الرّابِعةِ عَشرةَ؛ ليعملَ مساعِدًا عندَ أحدِ الجَزّارين. وَلَكُم، بعدَ ذلكَ، أَنْ تَتَصوّروا كمْ كانَ والدي مُستاءً مِنْ فِكرةِ دَعْمي ماليًّا في السَّنواتِ اللاحقةِ التي تتطلّبُها دراستي الجامعيَّةُ المنْتظَرةُ.

2- كان طُموحي أنْ أُصبح عالمًا منْذُ قرأتُ الكتابَ المثيرَ"الكونُ الغامِضُ"، الّذي كتبَهُ (جيمس جينز). كنتُ حينَها في الثانيةِ عشْرةَ، ومنذُئذٍ صارَ حلمُ اليقْظة لديَّ أنْ أكونَ عالمًا مشْهورًا مثلَ (أينشتاين)، ولكنّ حلمي هذا كان يتطلّب في حدّهِ الأدْنى أنْ أَحصلَ على شهادَةٍ جامعيّة في العلومِ. كانتِ الخُطوةُ الأولى نحوَ هذهِ الشّهادةِ تَتطلّبُ حصولي على تَدْريبٍ جادٍّ في إحْدى شَركاتِ الصّناعةِ الكيميائيّةِ ذاتِ الشُّهرةِ العالميَّةِ؛ مِنْ أجْلِ الحُصولِ على مِنْحةٍ ماليَّةٍ، تمكّنني لاحقًا من إكمالِ دراستي الجامِعيّةِ. لكنْ للأسفِ، حَصَلَ ما لمْ أكن أتمنّاهُ؛ فَقَد رسبتُ في الامتحاناتِ النّهائيّة للمرحلة الثانويّة في مادّة الرياضيّات، فكانَ لزامًا عليّ آنذاكَ قبول عرضِ مكتبِ العَمِلِ بأنْ أَعْملَ في مَصْنعٍ لمعالَجَةِ الصّوفِ وتَصْنيعِهِ.

3- كانَ العَملُ في مَصنعِ الصّوفِ صدْمةً هائلَةً لي؛ فقَدْ كُنتُ أنْطَلقُ إلى العَمَلِ في الثّامنةِ منْ صَباحِ كلِّ يوْمٍ، وأعودُ إلى المنْزِلِ في السّادسَةِ مَساءً. ولم يكنْ هُناكَ مُتّسعٌ للرّاحةِ سوى ساعَةِ الغَداءِ. كانَ الطّابقُ العُلويُّ مِن المصنعِ تَشغَلُه النّساءُ العامِلاتُ أمامَ ماكناتِ النَّسيجِ، وكانَ عَليَّ تزويدُهنّ بخيوطِ الصّوف، ثُمّ جَمْعُ نتاجِهنّ، ونقلُه إلى الطّابقِ السُّفليّ مِنَ المَصْنع بعْدَ ترتيبِهِ في أَقْفاصٍ. كانَ عَمَلي مُمِلًّا. وعِنْدما كُنْتُ أَقودُ درّاجَتي عائدًا إلى المنْزِلِ، كنْتُ أَشعرُ بالكآبَةِ إلى أقْصى الحُدودِ، فأُمْضي الوقتَ القَليلَ المُتاحَ لي في المنْزِلِ، كلَّ مَساءٍ، في قِراءةِ الشِّعْرِ؛ لأبعثَ شيْئًا مِنَ الرّاحةِ الذِّهْنيَّةِ داخِلَ روحي المُرْهَقَةِ.

4- ذاتَ يوْمٍ التَقيْتُ مُديرَ المَدْرسةِ الثّانويّةِ، فَأَخْبَرني أَنَّني إذا حصلتُ على الدَّرجاتِ الإضافيّةِ الكافيَةِ لِنجاحي في امْتحانِ الرّياضيّاتِ، فَسَيكونُ بوسْعي أنْ أَعْملَ في المَدرسَةِ مُساعِدًا في المُخْتبرِ، وعِنْدها سَيُتاحُ لي الوقتُ الكافي للحُصولِ على شهادَةٍ جامعيّةٍ في العلوم، طالما طمحتُ إلَيْها. كانتِ الفِكْرةُ مُدْهشةً ومُقدَّرًا لَها أنْ تَملأَني غبْطةٍ تفوقُ الوَصْفَ، لو كنْتُ أُخبِرتُ بها قبلَ بضْعةِ شهورٍ فَقَط، لما عانيتُ مِنْ مُشْكلَةٍ، أمّا اليوم فلمْ تعُدْ لي أيّةُ رغبَةٍ في دِراسَةِ العُلومِ، وفَقَدتُ حَماسي لَها، وأصبحْتُ أقْضي أغْلبَ الوَقْتِ المتاحِ لي في قِراءَةِ الشِّعْرِ، الّذي صارَ يتَلبّسُني تمامًا. لكنْ مَعَ كُلِّ هذا، شَعرتُ أنَّهُ ليسَ مِنَ الحكْمَةِ البوحُ بما يجولُ في خاطري؛ لذا مضيتُ في التَّحْضيرِ بِكُلِّ جَدّيّةٍ لامْتحانِ الرّياضيّاتِ المُرْتقَبِ، وحصلتُ على الدَّرجاتِ الإضافيّةِ المؤهِّلةِ للنَّجاحِ. ووجَدْتُني عائدًا إلى مدرستي؛ لأعَملَ في مُختبرِها، و أنا أَرْتدي رداءَ المُخْتَبَراتِ الأبيَضَ المعهودَ. وجدتُ العملَ في مُخْتبرِ مَدْرستي الثّانويّة مَبْعثَ راحَةٍ عُظْمى لي، بعْدَ العَناء الّذي لقيتُهُ في مَصْنَعِ الصّوفِ. كانَ الأمرُ أشبهَ بإطْلاقِ سَراحي مِنْ سِجْنٍ رهيبٍ.

5- أتذكَّرُ جيّدًا أَنَّ امْتحاناتي لِنيلِ الشّهادةِ الثّانويّةِ كانتْ تجْري في مَدينةِ "بيرمنغهام"، التي تبعدُ سبعينَ كيلومِترًا عَنْ مدينةِ "ليستر" الّتي أُقيمُ فيها. كانَ عَليَّ ركوبُ القِطارِ يَوميًّا طيلَةَ أيّامِ الامْتحاناتِ، وقَدْ أَحْببتُ القِطاراتِ كَثيرًا مُنذُ تلكَ الأيّامِ؛ لأنّها أتاحت لي حينَها التَّمتّعَ برؤيةِ سُهولِ "المدلاند" الخضراءِ الواسِعَةِ، الّتي كانَتْ تبْعَثُ عَلى الدَّهْشَةِ.

LIVEWORKSHEETS

6- ذهَبْتُ ذاتَ يوْمٍ، بعْدَ أداءَ الامْتحانِ، لِقضاءِ بعْضِ الوقْتِ في مَكْتبةِ "بيرمنغهام" العامَّةِ، الَّتي كانت أكبرَ بِكثيرٍ منْ مكتبَةِ "ليسْتر"، فتملّكَني العَجَبُ والدَّهْشةُ لرؤيَةِ رفوفِ الكُتُبِ، وهي تطاولُ السَّقْفَ! كانَ ينبَغي اسْتخدامُ السّلالِمِ المعْدنيّةِ للوصــولِ إلَيْها، وقدْ رأيْتُ فيها الكَثيرَ مِنَ الكُتُبِ التي طالما كنتُ أتطلّعُ لقِراءَتِها. وكمْ تمنّيتُ حينَها أنْ أكونَ أحدَ المقيمينَ الدائمينَ في "بيرمنغهام"! فعِنْدما وَقَفتُ وسط المكتبَةِ العامَّةِ ذاتَ صباحٍ، عرفْتُ تمامًا ما الّذي أريدُ أنْ أفعلَهُ في حياتي القادِمَةِ.

LIVEWORKSHEETS